الخليج العربي : دراسة في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي

د. عبد المالك خلف التميمي *

مقدمة:ـ

تقدم هذه الورقة تحليلا لبعض جوانب التاريخ الاجتماعي والاقتصادي لمنطقة الخليج العربي.. والتاريخ الاجتماعي والاقتصادي، رغم أهميته، لا يحظى باهتمام كتابنا ومؤرخينا ليس في الخليج فقط وأنما في الوطن العربي كله.

ان دراسة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي تعني دراسة دور الانسان العادي ونشاطاته وعلاقاته اي دراسة حركة المجتمع وطبقاته الفاعلة المنتجة الحقيقية. ان الدراسة التقليدية للتاريخ المعتمدة على العرض التاريخي قد انتهت وان بقى البعض يسير على نهجها.. ثم ان تاريخنا عبر الزمن كان ولا يزال في كثير من جوانبه تاريخاً رسمياً.. ان هذه الكتابات تغفل الكثير من الحقائق المتعلقة بحركة الجماهير وربما تقلب كثيرا من الحقائق التاريخية.

آن الأوان ليكتب تاريخ الناس و يعاد النظر بما كتب واعتماد العلمية والموضوعية والتحليل في هذا النوع من الكتابة التاريخية.

ان العلاقات الانسانية والنشاطات الاقتصادية والسياسية والحربية لا يمكن فهمها الا بدراسة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي.. في الحقيقة ان واقعنا الراهن هو نتاج حركة المجتمع المستمر من أجل العيش والبقاء واثبات الذات والتطور.. ان الناس البسطاء صنعوا تاريخنا وهم الذين عانوا و يعانون، فمنهم الحرفي الذي كان يصنع حاجاتنا اليومية، ومنهم الجندي الذي حارب واستشهد، ومنهم البحار الذى كان يحصل على قوته و يوفر السلعة للآخرين بعرقه وغربته عن أهله و يغوص فى أعماق الخليج بحثا عن اللؤلؤ ليعيش، ومنهم الراعي الذي كان يوفر اللحم والصوف وغيره لمواطنيه، ومنهم المزارع الذي يحرث و يزرع و يحصد ليأكل الناس هؤلاء الذين وقع عليهم عبء البناء الحقيقي للتاريخ وأحداثه مرها وحلوها، أين دورهم فى كتاباتنا التاريخية؟؟

ان دور الناس لم يكن بمعزل عن عملية الصراع السياسي من أجل السلطة..

* مدرس تاريخ العرب الحديث والمعاصر بجامعة الكويت ورئيس قسم التاريخ بها .

انه لأمر ملح أن ندرس الخلفية الاجتماعية والاقتصادية للواقع الراهن في المنطقة لمعرفة طبيعة التطور القائم ومعوقاته.

الوضع الاقتصادي في الخليج العربي قبل النفط

ان القاء نظرة سريعة على الوضع الاقتصادي للمنطقة قديماً ولو ذهبنا الى الالفين الثاني والأول قبل الميلاد لتبين لنا أن المواد الاولية الهامة كانت متوفرة فيها بالاضافة الى الزراعة كان هناك النحاس والاحجار الكريمة واللؤلؤ و بيض النعام .. و كما أدى موقع الخليج العربي الهام الى ممارسة سكانه نشاطاً اقتصادياً تمثل في التبادل التجاري وكانت هناك مراكز تجارية هامة مثل البحرين وجزيرة فيلكا وثاروت والجرعاء وامتدت هذه المراكز على طول الساحل.. ان هذا الوضع الاقتصادي ساعد على نشوء مستوطنات ذات حضارة جمعت بين الأصالة والعناصر المستوردة من بلاد الرافدين و وادي السند وظروف كهذه دفعت المواطنين نحو الانشطة التجارية لقد كانت هناك طرق بحرية تربط بين السند والخليج و بلاد الرافدين، ساعدت على التجارة حيث كان هذا الطريق يمثل شريانا حيويا لبلاد الرافدين مما دفع ملوكها للمحافظة عليه للمنافع الاقتصادية وكونه منطقة حدودية لبلادهم. (٤)

وكانت البيئة الزراعية في المنطقة لها أهمية في اقتصادها و يستدل على ذلك من أسماء القرى والمستوطنات المأهولة بالسكان والتي أورد ذكرها البلدانيون العرب، الا أن كثيرا منها قد اختفى من خارطة المنطقة فيما بعد.. ولو رجعنا الى القرن ٦هـ/١٢م والقرن ٧هـ/١٣م وخاصة أثناء عهد «امارة العصفوريين»* في البحرين وكان يطلق على منطقة شرق الجزيرة العربية كلها عاصمتها الاحساء..لقد كانت الزراعة في المنطقة تكفى احتياجات سكانها و يصدر الفائض الى السواحل المطلة على البحار العربية والمحيط الهندي وشرق افريقيا.. ان هذه البيئة الزراعية قد فرضت وجود نشاط اقتصادي ذي أوجه متعددة وقيام علاقات انتاجية وتركيب اجتماعي معين.. أيضا كانت المنطقة تتمتع بنشاط بحري باستخراج اللؤلؤ وصيد السمك، وقيام التجارة البحرية والبرية بالاضافة الى وجود الرعي في الصحراء (٥).

لو تركنا الماضي البعيد وانتقلنا الى فترة ماقبل النفط ماهي طبيعة الوضع الاقتصادي قبل النفط؟

لقد كانت الجزيرة العربية تتمتع باكتفاء ذاتى من الناحية الاقتصادية

* امارة العصفوريين : قامت في بداية القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادي تزعمها عصفور بن راشد زعيم بنى عامر في الاحساء، اسم لامارة البحرين وتشمل كل منطقة شرق الجزيرة العربية .